

يوم في حياة يسوع المسيح

(مرقس ١: ١٦-٣٩)

تأليف: جو شوبيرت

يسوع. في أكثر من عشرين آية في الجزء الأخير من الأصحاح الأول لإنجيل مرقس، يوجد القليل من «اربع وعشرين ساعة» مكتملة في حياة ربنا، من ساعات الصباح المبكر ليوم واحد إلى ساعات الصباح المبكر لليوم التالي. انها صورة ملفتة للنظر. هي الصورة الوحيدة ليوم كامل في الأنجيل. هنا عشرين ساعة كاملة قطعت من حياته. هذا النص الإنجيلي سيوضح لنا شيئاً عن كيف استخدم يومه و الضغوط التي واجهها:

١. مشهد الصباح الباكر (مرقس ١: ١٦-٢٠)

يوجد هذا المشهد الإفتتاحي في إنجيل مرقس ١: ١٦-٢٠:

وفيما هو يمشي عند بحر الجليل أبصر سمعان وأندراوس اخاه يلقيان شبكة في البحر؛ فإنهما كانا صيادين. فقال لهما يسوع: هلم ورائي فأجعلكما تصيران صيادي الناس. فللوقت تركا شباكهما وتبعاه. ثم اجتاز من هناك قليلاً، فرأى يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه وهما في السفينة يصلحان الشباك، فدعاهما للوقت، فتركا أباهما زبدي في السفينة مع الأجرى وذهبا وراءه.

انه لمن الخطأ الاعتقاد بان هذه هي المرة الأولى التي التقى فيها يسوع مع سمعان واندراوس. هذان الرجلان كانا من تلاميذ يوحنا المعمدان، وما من شك بان يسوع ألتقى بهما سابقاً في اليهودية. وكانا تلميذاه بطريقة ما أو بأخرى، حتى قبل هذا الوقت. ولكن هذا السرد

من منا لا يشعر احياناً بان الحياة تمضي بسرعة مضنية؟ الواجبات التي اعطيت تبدو وكأنها لن تكتمل، الزيارات التي نعد بها لا تتم. نبدأ بقراءة كتاب صدر حديثاً. ولكن بعد أيام قليلة فقط نلقي به في البيت عندما نصل بالقراءة إلى الفصل الثاني. تزدحم طاولة القراءة التي نستخدمها برسائل لا نرد عليها. نشير بيدنا ونقول، «لم يكن هناك وقت كافي.» ومن ثم هناك تطور آخر. نبدأ نشعر بالذنب. ويبدأ الحامض بالأضطراب في معدتنا، ونصاب بالمرض والاحباط.

ربما سيساعدك لو علمت بان يسوع كانت له أياماً عصيبة أيضاً. طبعاً الفرق بيننا وبين يسوع هو انه كان بإمكان يسوع ان يتعامل مع الأيام العصيبة بطريقة أفضل من الطريقة التي نتعامل نحن بها. انه لم يتضايق ابداً؛ ولم يشتكي بان «ليس هناك وقت كافي في اليوم.»

علم يسوع نسبة قليلة من آلاف الناس الذين عاشوا في تلك البلاد في القرن الأول. لم يسمعه معظم سكان العالم في ايامه ولا رأوه. انه رأى القلة فقط. وطرد الشياطين من الذين ألتقى بهم صدفة بالظروف العادية فقط. أطلع عدد قليل من الجياع. ومع ذلك يبدو انه كان دائماً يكمل ما أرسل لإكماله. كيف فعل ذلك؟ كيف كان مرتاح البال وظابطا لنفسه عند العيش تحت مثل هذا الضغط العظيم؟

بعض الأجوبة على هذه الأسئلة تظهر للعيان عندما ندرس فترة اربع وعشرين ساعة من حياة

الإيجابي. هي قوة الله القدير تسكن في تلاميذ يسوع المسيح يدعو رسمياً سمعان بطرس وأخاه اندراوس لكي يواصلوا {رسمياً} التلمذة. كان هذين الرجلين صيادي سمك. كانا صيادين بسيطين من الجليل - وكانا قاسيان وأميان إلى حد ما وغير مدركان وغير متعلمين ومملؤان بالأنفعالات وبكل أنواع التفرقة، وملاحم لا تدل على الكثير. قبل أن يصيرا «صيادي الناس» حسب قول يسوع، كان عليهما أن يتوسعا في العديد من المفاهيم. عليهما أن يتعلما كيف يسيران في قوة روح الله عوضاً من قوتهما.

٢. مشهد منتصف الصباح (٢١:١-٢٨)

يبدأ المشهد الثاني في خلال اربعة وعشرون ساعة من حياة ربنا بأيتي ٢١ و ٢٢:

ثم دخلوا كفرناحوم وللوقت دخل المجمع في السبت وصار يعلم. فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة.

بهت الحاضرون في ذلك اليوم من سلطان يسوع. لم يعلم كالكتبة الذين اعتادوا سماعهم. لكي يدعم الكتبة سلطانهم، كانوا يقتبسون بضع من تفسيرات معلمو اليهود في مختلف مواضيع الشريعة. قد يقولون، «قال هيليل...»؛ «وأضاف شامير...»؛ «ويؤكد آخريين...» ولكن لم يشر يسوع إلى أي سلطان آخر غيره هو. ومع ذلك كانت كلماته معبرة. كانت تتفق بالتمام مع الخبرة الشخصية والإقناع النفسي لكل الحاضرين بحيث أومأوا برؤسهم وقالوا: «نعم، طبعاً.» علموا بان ما كان يقوله صحيح. ألف ج. ب. فيليبس كتاب بعنوان حلقة الحقيقة (The Ring Of Truth)، الذي يصف بمقدرة نوع التعليم الذي علمه يسوع. كانت لكلماته حلقة حقيقة عنهم. كانت كلماته معلومه القيمة لكل المخلصين الذين سمعوه. انها كانت حقيقة موثوقة، تتوافق مع القناعة الذاتية لكل شخص كان قد سمعه، مشيراً إلى انه عالم بأسرار الحياة. هذه تعني باننا نحن المسيحيين لا بد ان نقيس أي تعبير أو أي مفهوم في أي مجال بما قاله يسوع عن هذا الأمر. وأخيراً ما قاله يكون وجهة النظر التي تؤخذ في الاعتبار. بأن الحق موجود في تعاليم

في الأصحاح الأول من إنجيل مرقس هو سجل يسوع المسيح يدعو رسمياً سمعان بطرس وأخاه اندراوس لكي يواصلوا {رسمياً} التلمذة. كان هذين الرجلين صيادي سمك. كانا صيادين بسيطين من الجليل - وكانا قاسيان وأميان إلى حد ما وغير مدركان وغير متعلمين ومملؤان بالأنفعالات وبكل أنواع التفرقة، وملاحم لا تدل على الكثير. قبل أن يصيرا «صيادي الناس» حسب قول يسوع، كان عليهما أن يتوسعا في العديد من المفاهيم. عليهما أن يتعلما كيف يسيران في قوة روح الله عوضاً من قوتهما.

تحمل يسوع المسؤولية ليساعدهما على التغيير. كفاءتهما للعمل الذي دعاهما اليه تأتي منه، وليس منهما. لاحظ طبيعة الدعوة؛ انه قال «هلم ورائي فسأجعلكما صيادي الناس.» لقد كان ذلك مشجعاً لي لأن هذا يوضح بان رغم انني غير كفوء في ذاتي لكي اتحمل ضغوط ومتطلبات الحياة، فيسوع يعطيني الكفاءة التي احتاج إليها. يذكر بولس الرسول أهل كورنثوس قائلاً: «ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا، بل كفايتنا من الله» (٢ كو ٥:٣)، هذا هو السبب الذي يمكننا ان نقول سوياً مع بولس الرسول: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (فليبي ٤:١٣). افهم أيضاً ما عناه بولس الرسول قبل اصحابين عندما قال: «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (فليبي ٢:١٣). في الآيات الختامية من الرسالة إلى العبرانيين، صلى كاتب هذه الرسالة إذ قال: «ليكملكم {إله السلام} في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملاً فيكم ما يرضي أمامه بيسوع المسيح...» (عبرانيين ١٣:٢١). يمكن لله ان يجعلنا ما نريدنا ان نكون. هو الذي منه تأتي ثقنتنا ومقدرتنا، وبدون علاقة معه، لا يمكننا أبداً ان نكون ما ينبغي علينا أن نكون. يسوع هو القوة في حياة المسيحي، القادر ان يسكن فينا ويعلن نفسه بواسطتنا.

هذه ليست سلسلة كاملة من دروس عن تطور الشخصية، ومهارات الإدارة، والتفكير

يسوع. ويعني هذا أن علينا ان نصحح نفسياتنا وفلسفتنا بالحقيقة التي وضعها أمامنا، وليس العكس.

خذ في الاعتبار الاقتباس لطبيب نفساني أمريكي يدعى ج. ت. فيشر. قال دكتور فيشر ما يلي:

إن كان عليك ان تأخذ كل المواضيع الجديرة بالاعتماد والقبول التي كتبت علي الاطلاق من قبل علماء النفس الأكثر تأهيلاً و أطباء النفس في موضوع الصحة العقلية، وإن كان عليك ان تجمعها مع البعض وتنقحها من الإفراط والزوائد اللغوية، وإن أخذتها بوزنها نقية وبدون الشوائب، وإن أخذت هذا الجهد الخالص للمعرفة العلمية المعبرة عنها باختصار من قبل مفلسفي اللغة المقتدرين، لكنت قد حصلت على مختصر غير واف بالغرض وغير مكتمل للموعظة على الجبل {التطويبات}، ولا يكون جديراً بالمقارنة.

على مدار ألفي سنة تقريباً، يمسك العالم المسيحي بين يديه الإجابة الكاملة التي يتوق إليها لقلقه وفشله. توجد في تعاليم المسيح يسوع كل متطلبات النجاح لحياة الانسان بأفضل صحة عقلية واطمئنان. لهذا عندما وقف يسوع في كفرناحوم في ذلك اليوم ليعلم، تعجب الجميع من تعليمه. بالرغم من وجود اخطاء كثيرة وعلى نطاق واسع في التعليم المعاصر، يثني عليه ويتحدث عنه معظم الناس كما لو كان صحيحاً. نحن نحتاج إلى حكمة ذلك الانسان، الذي هو يسوع المسيح الناصري، الذي عرف الحق عن الحياة، وأعطانا اياه. كانت هناك استجابة كبرى لتعليمه في صباح ذلك السبت. تقول الآيات ٢٣-٢٨ ما يلي:

وكان في مجمعهم رجل به روح نجس، فصرخ قائلاً: أه ما لنا ولك يا يسوع الناصري! أتيت لتهلكنا. أنا اعرفك من أنت، قدوس الله. فانتهره يسوع قائلاً: اخرس وأخرج منه! فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه. فتحيروا كلهم حتى سأل بعضهم بعضاً قائلين: ما هذا؟ ما هو هذا التعليم الجديد؟ لأنه يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه! فخرج خبره للوقت في كل الكورة المحيطة بالجليل.

عندما قال مرقس البشير في تلك الآية الأخيرة بأن انتشر الخبر عن يسوع سريعاً في كل الجليل، لا يعني بانه انتشر خلال بضعة أيام واسابيع، وإنما يعني انه انتشر خلال ساعات فقط. عند المساء، قدم الناس إليه المرضى والمجانين من كل المدينة لكي يشفيهم. لقد جذب يسوع انتباه اولئك الناس. اكتسب شهرته ليس لأن لديه لجنة علاقات عامة جيدة، بل لأن قوته وكلماته وأعماله قد امتلكت الذين رأوه وسمعوه. انه كان حقيقي! وانتشرت الكلمة، يوجد هنا شخص يأمر ارواح الظلمة فتطيعه!

٢. مشهد بعد منتصف النهار (٢٩:١-٣١)

وعندما ننتقل إلى فترة بعد الظهر، سنجد سجل حدث عادي، حدث رائع، في بيت سمعان بطرس واندراوس. لاحظ الآيات ٢٩-٣١:

ولما خرجوا من المجمع جاءوا للوقت إلى بيت سمعان واندراوس مع يعقوب ويوحنا. وكانت حماة سمعان مضطجة محمومة. فللوقت اخبروه عنها. فتقدم وأقامها ماسكاً بيدها، فتركها الحمى حالاً وصارت تخدمهم.

والآن قد تجاوزت الساعة منتصف النهار، وكان تأكيد مرقس البشير على الرأفة التي حركت يسوع. ارجو ان لا تضل الغاية من هذه القصة. عندما تقرأ بطريقة عادية، تبدو كما لو كان هناك تقصير في خدمتهم. كان يعقوب ويوحنا ويسوع قد دعوا من قبل بطرس واندراوس إلى بيتهما ربما لتناول الطعام، وعندما وصلوا إلى البيت وجدوا حماة بطرس التي كانت تسكن هناك ايضاً مريضة. قد مرضت التي كانت ستعد لهم الطعام، واعتذر بطرس ليسوع. يقول السجل بانه اخبر يسوع عنها. وعندما علم يسوع بانها مريضة، ذهب وامسكها بيدها وأقامها، فتركها الحمى. ومن شدة تقديرها وشكرها من اجل الشفاء، مضت لتخدم الضيوف - يسوع ويعقوب ويوحنا. لا توجد اشارة في القصة تدل على ان مرض حماة بطرس كان خطيراً. كانت الحمى مرض عادي في فلسطين. لاشك بان الحمى كان ستتركها بعد ايام قليلة. بهذا يتحدث هذا النص عن رأفة

قلب يسوع. واستجابة لمعاناة هذه المرأة رغم عدم خطورتها. واعد لها صحتها في تلك الظهيرة.

عكس ما علمه معظمنا، لم تكن معجزات يسوع وسيلة لاثبات شخصيته وألوهيته فقط. انه ساعد لأن كان له رغبة في كل الذين احتاجوا إلى مساعدته. هذا الاتجاه الرؤوف لمعجزات يسوع سيتضح بجلاء عندما ننظر إلى المعجزات الأخرى التي أجراها.

٤. مشهد الساعات الأولى من المساء (٣٤-٣٢:١)

وبعد ذلك يحدثنا مرقس البشير عما جرى عند المساء:

ولما صار المساء إذ غربت الشمس، قدموا إليه جميع السقماء والمجانين. وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب. فشفي كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة، ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه (الآيات ٣٢-٣٤).

انتهى السبت بغروب الشمس. ينتهي كل سبت حسب شريعة اليهود عند الساعة السادسة مساءً. بعد غروب الشمس بدأ الناس يأتون ليسوع بكل المرضى والمجانين من كل الكورة المحيطة ليشفيهم. يقول مرقس البشير بان المدينة كلها اجتمعت عند الباب. تخيل المدينة كلها! يقول المتخصصين بدراسة الكتاب المقدس بان هذا كان في كفرناحوم، انها كانت مدينة كبيرة من حيث الحجم في زمان يسوع. اجتمعت كل المدينة عند الباب. ما كان حجم العمل في هذه الأمسية التي قضاها يسوع في كفرناحوم!

تقول الآية ٣٤ بان يسوع شفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة. وأخرج شياطين كثيرة أيضاً ولكنه لم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه. كان لهذا مغزى لأن هذه هي اولى اشارة للرغبة التي اعلنها يسوع من حين إلى آخر ليقلل من اهمية اثاره العجب والاعجاب بالمعجزات. في عدد من المناسبات أوصى يسوع الذين شفاهم قائلاً: « اذهب ولا تقل لأحد.»

اي بعبارة اخرى، « لا تخبر اي انسان عن هذا الشفاء. اقبل الشفاء بنفسك فقط كما هو ولا تنشر الخبر.» ولكنهم وبصفة دائمة لم يطيعوا. الجموع الذين اتوا ليطلبوا يسوع كنتيجة لآخبار عجائب الشفاء تزايدوا بحيث يقول الكتاب المقدس مراراً وتكراراً ان يسوع لم يدخل تلك المدينة بعد ذلك بسبب الجموع. من الظاهر ان يسوع لم يرد هذا الزحام - ليس بتلك المفاهيم. يا للإختلاف مع بعض الناس اليوم! الديانة مليئة بما يسمى شافي المرضى الذين يجولون بحملات دعاية للشفاء وينتهزون فرصة هذه الدعايات لجلب الجمهور، ويشددون على اثاره العجب والاعجاب بما يفعلونه. ولكن لا يرى شيء من هذا القبيل في الكتاب المقدس. في خدمة الرسل الشفائية لم يعطى للشفاء الجسدي قيمة كبيرة، كما كان الحال في اعمال يسوع. لم يعلنوها أبداً. لا يوجد أي مرجع أو سجل لإنسان سأل ليقف و يدلي بشهادة لشفاء تلقاه على يدي يسوع أو على أيدي الرسل.

٥. مشهد الفجر (٣٩:٣٥:١)

يسجل لنا مرقس البشير الأحداث الأخيرة خلال الساعات الأربع والعشرين من حياة يسوع المسيح في الآيات ٣٥-٣٩:

وفي الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلي هناك. فتبعه سمعان والذين معه. ولما وجدوه قالوا له إن الجميع يطلبونك. فقال لهم لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضاً لهذا خرجت. فكان يكرز في مجامعهم في كل الجليل ويخرج الشياطين.

بعد يوماً كاملاً، كتب مرقس البشير بان يسوع قام مبكراً عند الفجر وذهب إلى موضع خلاء وصلى. وحتى هناك قاطعه تلاميذه. جاء سمعان بطرس وقال: « ايها الرب يسوع، الناس كلهم يطلبونك.» ما الرد الذي أتى به يسوع عندما قطع وقت صلاته الخاص مع الآب في الصباح الباكر؟ هل التفت إلى بطرس وقال له: « يا بطرس، عليهم ان ينتظروا! فاني لا

يقول السجل بان يسوع خرج في اليوم التالي بجولات تبشيرية في مجامع الجليل. في انجيل مرقس، اكتملت هذه الجولة في آية واحدة، ولكن لا بد انها دامت لمدة اسابيع أو ربما شهور، لكي تكتمل.

الخلاصة

ليساعدنا الله ونحن ندرس حياة يسوع حتى نتعلم من تلك الحياة العظيمة دروس عظيمة، تلك التي أراد مرقس التبشير أن يضعها في قلوبنا. وليساعدنا الله ان نعيش كما عاش يسوع، وان نسير كما سار هو. بيسوع المسيح يمكن لحياتك ان تكون كما تنبغي ان تكون. انه يعرف ما تدور الحياة عنه. انه يعطيك المعنى والقوة والسلام والفرح والكفاءة والثقة التي تريدها في حياتك.

توضيح

ما الوسيلة التي تستخدمها؟

بادر ناقد في احد المرات شارلس الكسندر وقال بسخرية: « لا أريد الطريقة التي تقوم بها باداء العمل الشخصي. »
وسأل الكسندر: « كيف تعمل عملك؟ »
أقر الناقد: « اني لا أفعل الكثير منه. »
فأجاب الكسندر: « حسناً، اني أفضل الطريقة التي أنا أعمل بها أكثر من الطريقة التي لا تعمل أنت بها. »

استطيع ان اواجه الجمع بعد. » هل هز رأسه وقال: « ليست هناك ساعات كافية في اليوم، لماذا لا تسمح لي ان اكون لوحدي إلى حين؟ ألا تدري كيف كنت منشغلاً خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية؟ استيقظت بالأمس على نحو هذه الساعة بدون راحة - اعلم واشفي واعمل، اصنع معجزات واخرج الشياطين. فعلي ان استريح! » لم يقل اي من هذه. مع انه كان يعلم بان اعماله لليوم التالي كانت تتطلب منه ان يكون في مكان آخر وليس حيث يريد بطرس منه. وبناء على هذا قال لبطرس وللآخرين: « لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضاً لأنني لهذا خرجت » (آية ٣٨). لم يضطرب يسوع على الحقيقة التي هي عندما يطلبه البعض في مكان ما، تتطلب منه المسؤولية ان يكون بمكان آخر. كان قد انفرد لكي يستعيد قواه. وبعد ان جدد قواه، خرج ليعمل بما أعده الله له ليعمل في ذلك اليوم. لم يتجنب يسوع اي مسؤولية عند رفضه ان يعود مع بطرس والآخرين إلى كفرناحوم، لأن عند ذهابه إلى المدن المجاورة، سيواجه جموع كالذين تركهم في كفرناحوم، انه أكمل ما كان باستطاعه، ووضع ثقة في جدول عمل الله ليكتمل البقية. توجد رسالة ذات معنى عميق في هذه الحقيقة في حياة كل مسيحي اليوم. سوف لا تستطيع ان تفعل دائماً ما يتوقعه منك الآخرون او ما يطالبونه منك {ان تفعله}. فافعل ما تستطيع ان تفعله وثق في الله ان يعتني بما تبقى.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧